لهم في كل مرة أن يستعينوا بمن شاءوا ومن استطاعوا، ثم رماهم والعالم كله بالعجز في غير موارية فقال: ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[1] وقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[2] فانظر أي إلهاب!! وأي استفزاز لقد أجهز عليهم بالحكم البات المؤبد في قوله ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ ثم هددهم بالنار، ثم سواهم بالأحجار، فوالله لو كان فيهم لسان يتحرك، لما صمتوا عن منافسته وهم الأعداء الألداء وأباة الضيم الأعزاء، وقد أصاب منهم موضع عزتهم وفخارهم، ولكنهم لم يجدوا ثغرة ينفذون منها إلى معارضته ولا سلماً يصعدون به إلى مزاحمته، بل وجدوا أنفسهم منه أمام طود شامخ، فما اسطاعوا أن يظهروه، وما استطاعوا له نقباً... حتى إذا استيأسوا من قدرتهم واستيقنوا عجزهم ما كان جوابهم: إلا أن ركبوا متن الحتوف، واستنطقوا السيوف بدل الحروف، وتلك هي الحيلة التي يلجأ إليها كل مغلوب في الحجة والبرهان، وكل من لا يستطيع دفعاً عن نفسه بالقلم واللسان»[3].

سلكوا مع الرسول ﷺ كل سبيل للتوقف عن دعوته، ساوموه بالمال، وعرضوا عليه الملك، وقاطعوه ومن معه حتى يموتوا جوعاً، وتآمروا على قتله، وأخرجوه من بلده وسلكوا أصعب الطرق وأعرضوا كل الإعراض عن الطريق الوحيد الذي عرضه عليهم الرسول ﷺ لإبطال دعوته وهو أن يأتوا بمثل هذا القرآن فوجدوا أن كل سبيل أهون من هذا السبيل، وكل مشقة دون هذا المطلب فأي شيء يكون العجز إن لم يكن هذا هو العجز كل العجز[4].

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٨.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤.
(٣) النبأ العظيم: ص:٨٤ ـ ٨٥ بتصرف.
(٤) المرجع السابق: ص:٨٧ ـ ٨٨ بتصرف.

ولو أثر عنهم معارضة للقرآن الكريم، أو محاولة جادة لتطاير خبرها في الأجيال ولتداولتها الألسن وسطرتها الأقلام ولكن ذلك لم ولن يكون ما دام هناك مسكة من عقل، أو ذرة من كرامة.

عناية العلماء به وأهم المؤلفات فيه:

كان للعلماء رحمهم الله تعالى عناية كبيرة واهتمام عظيم بإعجاز القرآن الكريم. وسبق أن ذكرنا أن مصطلح (المعجزة) أو (إعجاز القرآن) لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة رضي الله عنهم وإنما ورد التعبير عن هذا المعنى بالآية.. والبرهان والسلطان.. وغير ذلك.

وهي العبارات التي كان يتداولها العلماء في القرنين الأول والثاني الهجريين عند حديثهم عن إعجاز القرآن، وليس هناك تحديد دقيق لتأريخ ظهور مصطلح إعجاز القرآن.

وقد استعمل هذا المصطلح في نهاية القرن الثاني وأوائل القرن الثالث ويؤيد هذا أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ت (٢٤١هـ) استعمل كلمة (معجزة) للأمر الخارق المؤيد للأنبياء ولما استعمل له من بعده مصطلح (الكرامة)[1].

كما ظهر استعمال هذا المصطلح عند النظام ت (٢٣١هـ) أحد أئمة المعتزلة حين زعم أن إعجاز القرآن كان بالصرفة ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ـ فتصدى له علماء السنة والجماعة وردوا عليه وأبطلوا زعمه فشاع مصطلح المعجزة وقل استعمال مصطلح الآية والبرهان والسلطان وغيرها..

وللمعتزلة عناية خاصة بإعجاز القرآن ولعل عنايتهم تلك نتيجة عدم اعتمادهم في إثبات نبوة محمد ﷺ إلا على معجزة القرآن دون سواها من

(١) انظر (فكرة إعجاز القرآن): نعيم الحمصي. ص:٨.

المعجزات يقول الهمداني «لم يعتمد شيوخنا في إثبات نبوة محمد ﷺ على المعجزات[1]. . ويقول عن المعجزات «فلا يصح أن يستدل بها على صحة النبوة ولذلك اعتمد شيوخنا في تثبيت نبوة محمد ﷺ على القرآن»[2] ويوضح هذا الأمر فيقول: «إن شيوخنا أثبتوها معجزة ودلالة، لكنهم لم يجوزوا الاعتماد عليها في مكالمة المخالفين»[3] ولهذا كثرت مؤلفاتهم في إعجاز القرآن وبلاغته ومناظراتهم ومجادلاتهم وشطحاتهم.

أما أول كتاب يحمل هذا المصطلح في عنوانه فهو كتاب (إعجاز القرآن) الذي ألفه محمد بن زيد الواسطي المتوفى سنة ٣٠٦هـ[4] وهو كتاب مفقود. إلا أن أقدم كتاب خاص بإعجاز القرآن وصل إلينا هو (النكت في إعجاز القرآن) لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤)[5] وهو من أئمة المعتزلة.

ثم تتابعت المؤلفات بعد ذلك وكثرت كثرة لا تكاد تحصى قديماً وحديثاً وليس من السهل حصرها كلها وسأذكر بعض هذه المؤلفات إجمالاً، فمن المؤلفات قديماً:

١ ـ **النكت في إعجاز القرآن:** لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ت (٣٨٤هـ) وهي رسالة مختصرة جاءت جواباً لسؤال عن ذكر النكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج وتقع في سبع وثلاثين صفحة طبعت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل: عبد الجبار الهمداني. ج:١٦ ص:١٥٢.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) الفهرست: ابن النديم ص:١٧٢ أو ص:٢٤٥ والأعلام: الزركلي جـ:٦ ص:١٣٢ وانظر فكرة إعجاز القرآن: نعيم الحمصي ص:٨، وإعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة: د/ منير سلطان ص:٥٠.
(٥) مباحث في إعجاز القرآن: د. مصطفى مسلم ص:٤٣.

٢ ـ **بيان إعجاز القرآن:** لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ت (٣٨٦هـ) وهي أيضاً رسالة مختصرة تقع في ٤٧ صفحة وطبعت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

٣ ـ **إعجاز القرآن:** لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ت (٤٠٣هـ) طبع بتحقيق عماد الدين أحمد حيدر في مجلد واحد يقع في ٣٢٥ صفحة الطبعة الأولى ١٤٠٦ مكتبة العلوم والحكم في المدينة المنورة.

٤ ـ **الرسالة الشافية:** لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني ت (٤٧١هـ) وهي رسالة موجزة لكنها شاملة قرر فيها أن الإعجاز ثابت عن طريق عجز العرب عن معارضة القرآن وقرر أن العبرة بعجز العرب المعاصرين لنزوله دون المتأخرين عن زمانه ورد على القول بالصرفة وتقع هذه الرسالة في حوالي ٤٠ صفحة وطبعت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

٥ ـ **دلائل الإعجاز:** وهو أيضاً لعبد القاهر الجرجاني في مجلد طبع أكثر من مرة بتحقيق أحمد مصطفى المراغي وطبع كذلك بتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي.

٦ ـ **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز** للفخر الرازي ت (٦٠٦هـ) اختصر فيه كتابي (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني وزاد فيه بعض الفوائد وبين يدي طبعة مطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٣١٧هـ.

٧ ـ **البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن:** لعبد الواحد الزملكاني ت (٦٥١هـ) طبع بتحقيق د. خديجة الحديثي؛ ود. أحمد مطلوب في بغداد الطبعة الأولى عام ١٣٩٤هـ وتقع مع الفهارس في ٤٣٢ صفحة وللزملكاني أيضاً كتاب (التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن) طبع في بغداد أيضاً عام ١٣٨٣هـ.

٨ ـ **معترك الأقران في إعجاز القرآن:** لجلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ) طبع في ثلاثة مجلدات الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

وأما المؤلفات الحديثة فكثيرة جداً في مختلف أوجه الإعجاز أذكر بعض أشهرها:

١ ـ **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**: للأستاذ مصطفى صادق الرافعي ت (١٣٥٦هـ) طبع عدة مرات في مصر. وهو بحق من أفضل المؤلفات في موضوعه قديماً وحديثاً.

٢ ـ **النبأ العظيم**: د. محمد عبد الله دراز ت (١٣٧٧هـ) وهو كتاب في الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم أحد ثلاثة أنواع من الإعجاز وعد المؤلف بالكتابة عنها فأتم الأول وتوفي قبل تمام الباقي وامتاز بأسلوبه الأدبي المميز، ودقة استنباطه، وسلاسة لفظه يقع في ٢١٦ صفحة وطبع أكثر من مرة.

٣ ـ **مباحث في إعجاز القرآن**: د. مصطفى مسلم وكتبه مؤلفه لطلاب قسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لمادة إعجاز القرآن وهو كتاب قيم يقع في حوالي ثلاثمائة صفحة.

٤ ـ **فكرة إعجاز القرآن**: تأليف نعيم الحمصي وهو في أصله مقالات نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ثم جمعها في هذا الكتاب وصدرت طبعته الأولى عام ١٣٧٤ والثانية ١٤٠٠هـ ويقع في حوالي خمسمائة صفحة وهو عرض لقضية إعجاز القرآن الكريم منذ البعثة إلى حين تأليفه.

٥ ـ **البيان في إعجاز القرآن**: د. صلاح الخالدي وألفه حين درّس مادة إعجاز القرآن في كلية المجتمع في الأردن ولم يجد كتاباً يجمع جزئيات وحدات المادة كما يقول فألف هذا الكتاب ويقع في حوالي أربع مائة صفحة.

مراحل التحدي بالقرآن:

ورد التحدي بالقرآن الكريم في خمس آيات من خمس سور هي على ترتيب السور[١]:

١ ـ **في سورة البقرة**: الآية ٢٣ ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ الآية..

٢ ـ **في سورة يونس**: الآية ٣٨ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ الآية.

٣ ـ **سورة هود**: الآية ١٣ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾.

٤ ـ **سورة الإسراء**: الآية ٨٨ ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾.

٥ ـ **سورة الطور**: الآية ٣٣ ـ ٣٤ ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

والتحدي في هذه الآيات كما ترى جاء مرة بالإتيان بمثل القرآن كله، ومرة بعشر سور، ومرة بسورة، ومرة بحديث مثله. فهل جاء التحدي بالقرآن متدرجاً من الأكثر إلى الأقل أم لا؟ للعلماء في مراحل التحدي بالقرآن الكريم أقوال:

القول الأول: وهو قول جمهور علماء التفسير والبلاغة أن التحدي

(١) أما على ترتيب النزول فأولها: آية الإسراء وثانيها: آية يونس وثالثها: آية هود. ورابعها: آية الطور (وكلها مكي) ثم نزل خامسها: آية البقرة في المدينة. انظر البرهان: الزركشي جـ:١ ص:١٩٣ والإتقان: السيوطي جـ:١ ص:٢٧ ويرى الزمخشري والبيضاوي والرازي وابو حيان وابن كثير وابن عاشور والرافعي وغيرهم أن آية هود نزلت قبل آية يونس.

كان متدرجاً بالقرآن كله كما في سورة الإسراء والطور ثم تحداهم بعشر سور في سورة هود ثم تحداهم بسورة في سورة يونس ثم بسورة من مثله في سورة البقرة، ولكن هذا القول لا يساعد عليه ترتيب نزول القرآن الكريم.

القول الثاني: رتب آيات التحدي حسب ترتيب النزول وأنه كان متدرجاً أيضاً إلا أن التحدي بسورة وقع قبل التحدي بعشر سور، ثم ذهب أصحاب هذا القول يعللون ذلك بتعليلات ليس فيها ما يقنع.

القول الثالث: وهو ما أرى صوابه أن القولين السابقين قاما على تصور أن الإتيان بمثل القرآن أصعب من الإتيان بمثل عشر سور وأن الإتيان بالعشر أصعب من الإتيان بسورة وهذا غير صحيح. لأن القرآن كله قليله وكثيره على حد سواء في الإعجاز فليس الإتيان بسورة أسهل من الإتيان بالقرآن كله فالتحدي في القرآن بالكيف لا بالكم وبالنوع لا بالمقدار فلا يهم إذاً أن يكون التحدي بسورة جاء قبل التحدي بعشر سور أو قبل التحدي بالقرآن كله.

واستحالة المجيء بمثل سورة من القرآن كاستحالة المجيء بعشر سور، واستحالة المجيء بمثل القرآن كله على حدٍّ سواء فكل ذلك متعذر، ولذا فلا أثر للاختلاف في ترتيب آيات التحدي ما دام لا يترتب عليه أثر في قوة التحدي والعجز كان عن الإتيان بجنس القرآن لا عن مقداره.

مقدار المعجز من القرآن الكريم:

ومما يتصل بالحديث عن مراحل التحدي بالقرآن، الحديث عن القدر المعجز من القرآن الكريم فقد وقع في هذا القدر خلاف أيضاً على أقوال هي:

القول الأول: أن الإعجاز متعلق بجميع القرآن لا ببعضه وهذا القول مردود بالآيات التي تتحدى بعشر سور وبسورة واحدة أو حديث مثله.

القول الثاني: أن الإعجاز متعلق بسورة تامة طويلة أو قصيرة وهذا رأي الجمهور، وزاد بعضهم أنه يتعلق أيضاً بقدر سورة تامة[1] من الكلام بحيث يظهر به تفاضل قوى البلاغة وأقصر سورة في القرآن هي سورة الكوثر ثلاث آيات فيكون مقدار هذه السورة من الآيات معجز.

القول الثالث: أن الإعجاز يتعلق بقليل القرآن وكثيره لقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾[2] والتحدي بجنس القرآن لا بالمقدار كما مر بنا بيانه وهذا هو ما نرجحه والله أعلم.

استمرار التحدي بالقرآن الكريم:

والتحدي في القرآن الكريم ليس خاصاً بأمة دون أمة أو عصر دون عصر بل هو باق ما بقي القرآن يعلن للناس تحديه فقوله عز شأنه: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ . .﴾[3] الآية. عام يشمل جميع الإنس في جميع العصور.

ولأن القرآن خاتم الكتب والرسول ﷺ خاتم الرسل والإسلام خاتم الأديان فقد اقتضت الحكمة بقاء المعجزة لتكون شاهدة على كل جيل كما هي شاهدة على الجيل الأول.

ولئن عجز الجيل الأول وهم أهل الفصاحة والبلاغة وأهل البيان والبديع عن الإتيان بمثل هذا القرآن أو بعضه أو مجرد محاولة ذلك لعلمهم سلفاً بعجزهم عن ذلك فإن مَنْ بعدهم أعجز وأبعد عن الاستطاعة فالإعجاز مستمر والتحدي قائم إلى يوم القيامة.

وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:

من المُسَلَّم به بين المسلمين عامة أن القرآن معجزة لا يمكن للبشر أن

---

(١) إعجاز القرآن: الباقلاني. ص: ٢٦١.
(٢) سورة الطور: الآية ٣٤.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

يأتوا بمثله لكنهم اختلفوا في بيان وجه الإعجاز فيه وذكروا أقوالاً كثيرة ومذاهب مختلفة وهم في هذا بين مصيب ومخطئ، ومحسن ومسيء.

تعددت الأقوال في وجه أو أوجه الإعجاز في القرآن الكريم فمنهم من لم يذكر للإعجاز إلا وجهاً واحداً، ومنهم من ذكر وجهين أو أكثر بل قال السيوطي: «أنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين»[1] ثم قال: «والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه»[2] وذكر هو في كتابه (معترك الأقران في إعجاز القرآن) خمسة وثلاثين وجهاً ضمنها المجلد الأول منه. وذكر غيره وجوهاً أخرى غير ما ذكره السيوطي. والحق أن بين بعض هذه الوجوه تداخل، وليس مرادنا هنا حصرها أو ذكرها كلها فلنذكر بعض هذه الأقوال:

القول الأول: أن الإعجاز كان بالصَّرْفَة:

القول بالصَّرْفَة هو الباعث على نشأة البحث في وجوه الإعجاز للقرآن الكريم فقد كان المسلمون مُسَلِّمين بإعجاز القرآن وألفوا في ذلك كتباً تشير بصورة غير مباشرة إلى إعجاز القرآن من غير أن يخوضوا أو يتعمقوا في بيان وجهه حتى أظهر النَظَّام (ت ٢٣١هـ) مقولته بالصَّرْفَة فثار العلماء لإنكار قوله والرد عليه ومن ثم تحديد الوجه أو أوجه الإعجاز الصحيحة في القرآن الكريم.

وأول من قال إن إعجاز القرآن الكريم كان بالصَّرْفَة هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام (ت ٢٣١هـ) أحد أئمة المعتزلة وصار له مذهب خاصة ينسب إليه، وقلده آخرون في هذه المقولة وتشعب القول فيها إلى شعبتين:

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن: السيوطي ج:١ ص:٥.

(٢) المرجع السابق.

١ ـ **القول الأول**: للنظام وآخرين أن المراد بالصرفة أن الله صرف العرب عن الاهتمام بمعارضة القرآن الكريم مع قدرتهم عليها ولو توجهوا إليها لقدروا على الإتيان بمثل هذا القرآن.

٢ ـ **والقول الثاني**: للمرتضى من الرافضة ومراده بالصرفة أن الله سلب العرب العلوم التي يحتاجون إليها للإتيان بمثل هذا القرآن ولو توجهوا للإتيان بمثله لما استطاعوا لسلبهم هذه العلوم.

والفرق بين رأي النظام وأتباعه والمرتضى ومن معه أن النظام يرى أن العرب لو أرادوا الإتيان بمثله لاستطاعوا ولكن همتهم لم تتوجه لذلك، أما المرتضى فيرى أن العرب لا يستطيعون الإتيان بمثله ولو أرادوا ذلك لأنهم لا يملكون العلوم التي تمكنهم من ذلك فالفرق بينهما أن النظام يرى أن العرب يستطيعون لو أرادوا والمرتضى يرى عدم استطاعتهم وكلا القولين غير صحيح.

ونرد على ذلك بثلاثة ردود، **الأول** رد مشترك على القولين لإبطال القول بالصرفة عامة، **والثاني** رد على مذهب النظام، **والثالث** رد على مذهب المرتضى.

أما الرد العام على القول بالصرفة فإنّا نقول إنه يلزم من القول بالصرفة أن الإعجاز ليس في القرآن ذاته وإنما في غيره وهو عدم استطاعتهم، فالقرآن بزعمهم ليس معجزاً، إنما الإعجاز في المنع، وهذا باطل، قال أبو بكر الباقلاني: «ومما يبطل القول بالصرفة، أنه لو كانت المعارضة ممكنة، وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزاً وإنما يكون المنع معجزاً، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه»[1].

ونقول أيضاً أن ديوان العرب محفوظ شعره ونثره وليس فيه قبل أن يسلبوا الاهتمام بالإتيان بمثله، أو تسلب منهم العلوم كما يزعم هؤلاء وأولئك ما يماثل القرآن أو يدانيه.

(١) إعجاز القرآن: أبو بكر الباقلاني. ص:٥٤.

أما الرد على النظام ومن معه فإنا نقول: كيف يصح القول أن همتهم لم تتجه للإتيان بمثل القرآن وهم الذين لم يتركوا سبيلاً للقضاء على دعوة محمد ﷺ وسلكوا كل طريق شاق، حاربوه، وناوؤه، وقاطعوه، وآذوه مع إبطاله لمعتقداتهم، وإثارته لحفيظتهم، واستفزازه لمشاعرهم، وإلهابه لغيرتهم، وأصاب موضع عزتهم وفخارهم، وقد مكنهم من نفسه لو استطاعوا فدعاهم وتحداهم أن يأتوا بمثل سورة من القرآن ولو كان فيهم أدنى قدرة، أو عرفوا أحداً يملكها في أقصى الأرض لبعثوا إليه كما بعثوا لليهود يسألونهم عما يسألون محمداً ﷺ عنه ليحرجوه، فلا يصح بعد هذا أن يقال أن همتهم لم تتجه للإتيان بمثله.

وأما الرد على المرتضى ومن معه ففي قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[1].

وفي هذا دليل أن عجزهم كان مع بقاء قدرتهم ولو لم يكن عندهم قدرة لما صح تحديهم إذ لا يصح لأحد أن يتحدى الموتى، إذ ليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره[2] كما لا يصح أن يتحدى المبصر الأعمى وإنما يصح التحدي إذا تحدى من يملك البصر أما إذا سلب البصر لم يصح تحدي مثله، كما أن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ يدل على وجود القدرة لأن المعاونة والمظاهرة إنما تمكن مع القدرة ولا تصح مع العجز والمنع[3].

القول الثاني: أن وجه الإعجاز في القرآن الكريم هو الأخبار الغيبية فيه:

وذلك أن القرآن الكريم تضمن عدداً من الأخبار الغيبية في الماضي

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٨.
(٢) الإتقان: السيوطي، ج:٢ ص:١٥١.
(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل: عبد الجبار الهمداني ج:١٦ ص:٣٢٣.

والحاضر والمستقبل؛ وإذا علمنا أن الرسول ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وعلمنا أن أمته أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب وليس عندها علم يذكر في تاريخ الأمم الماضية، ومع هذا كله فقد ورد في القرآن الكريم، الحديث عن الأمم الماضية بما يظهر أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا من عند الله الذي يعلم الغيب في السموات والأرض.

والأخبار الغيبية الواردة في القرآن ثلاثة أنواع:

الأول: الأخبار الغيبية الماضية (غيب الماضي):

وهي الأخبار التي تحدثت عن الأمم الماضية والأنبياء السابقين عليهم السلام وذلك لعدم تلقي الرسول ﷺ لهذه الأخبار عن أحد من البشر ولم يقرأها في كتاب فلم يبق إلا أن يكون تلقاها عن طريق الوحي ولهذا كان القرآن كثيراً ما يشير إلى هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾[1] وكقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[2] وكقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾[3] وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾[4] وقوله جل جلاله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾[5] وغير ذلك من الآيات.

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٨.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٤.
(٣) سورة يونس: الآية ١٦.
(٤) سورة ص: الآية ٦٧ ـ ٧٠.
(٥) سورة هود: الآية ٤٩.

الثاني: الأخبار الغيبية عما يقع بغير حضرة الرسول ﷺ (غيب الحاضر):

إذ كثيراً ما تحدث بعض الأحداث وتقع بعض القضايا ولا يشهدها الرسول ﷺ ولا يحضرها ومع هذا ينزل عليه الوحي والخبر الصادق حتى قبل أن يصل أحد ممن رآها إلى الرسول ﷺ حتى كان الكفار يقول بعضهم لبعض اخفضوا أصواتكم حتى لا يسمعكم إله محمد ولهذا كان المنافقون يحذرون ذلك قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾[1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾..[2] وكقوله تعالى عن المنافقين: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[3] وغير ذلك من الأيات.

الثالث: الأخبار الغيبية عن أمور مستقبلة (غيب المستقبل).

وكثيراً ما أخبر القرآن عن أمور ستحدث في المستقبل ووقعت كما جاءت في القرآن فمن ذلك قوله تعالى عن ظهور الإسلام وسيادته وقد كان ذلك فيما بعد ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[4] وعن القرآن أخبر أنهم لن يأتوا بمثله ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[5] وقال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا

(١) سورة التوبة: الآية ٦٤.
(٢) سورة التوبة: الآية ٧٤.
(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٧.
(٤) سورة التوبة: الآية ٣٢.
(٥) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[1] وحتى الآن لم يأت أحد بمثله ولن يفعل أحد ذلك. ومنه قوله تعالى عن الكفار ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾[2] وقد نزلت هذه الآية وعائشة رضي الله عنها بمكة جارية تلعب[3] وتحقق ذلك فيما بعد. ومنه قوله تعالى: ﴿الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾[4] وكقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾[5].

ومنه قوله تعالى عن أبي لهب: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾﴾ وعن امرأته ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾﴾[6] والخبر الغيبي في هذا أنه أخبر أنهما في النار ويقتضي هذا موتهما على الكفر وقد كان ذلك ومثله عن أبي جهل[7] ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[8] فمات على كفره وكذلك أبي بن خلف قال عنه[9] ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾﴾[10] فمات على الكفر، والنضر بن الحارث[11] ﴿كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[12]

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣ ـ ٢٤.
(٢) سورة القمر: الآية ٤٥.
(٣) انظر صحيح البخاري: جـ:٦ ص:٥٤.
(٤) سورة الروم: الآيات ١ ـ ٤.
(٥) سورة الفتح: الآية ٢٨.
(٦) سورة المسد: الآيات ٢ ـ ٤.
(٧) أسباب النزول: الواحدي: ص:٣٩٨.
(٨) سورة الدخان: الآيات ٤٥ ـ ٤٧.
(٩) لباب النقول: السيوطي. ص٢٣٤.
(١٠) سورة الهمزة: الآية ٤.
(١١) لباب النقول: السيوطي ص:١٦٩.
(١٢) سورة لقمان: الآية ٧.

والوليد بن المغيرة[1] ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[2].

ومع قوة هذا الوجه من الإعجاز وتحققه في القرآن الكريم إلا أنه لا يصح الزعم بأنه وجه الإعجاز في القرآن الكريم لخلو كثير من الآيات القرآنية من الأخبار الغيبية مع تحقق الإعجاز فيها.

الثالث: أن وجه الإعجاز في القرآن الكريم هو: نظمه.

ومن أدلة أصحاب هذا القول قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾[3] فحين زعم الكفار أن أخبار القرآن افتراء وكذب قطع جدلهم بأن طلب منهم على التسليم بأنه مفترى أن يأتوا بعشر سورَ في نظمه وأسلوبه لا صدق خبره حسب زعمهم. فالتحدي هنا بالنظم لا بالأخبار فضلاً عن الأدلة الأخرى الكثيرة على إدراك العرب بذوقهم لإعجاز القرآن في نظمه واستيلائه على ألبابهم.

وقال بهذا الإعجاز عدد من أئمة اللغة والبيان كالواسطي والجاحظ الذي ألف كتاباً عن نظم القرآن ومنهم الجرجاني والخطابي وغيرهم.

وقد فسر الخطابي هذا الوجه بقوله: «وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور منها: أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل، ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض، فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة.

١ ـ لفظ حامل.

(١) لباب النقول: السيوطي. ص:٢٢٣ ـ ٢٢٤.
(٢) سورة المدثر: الآية ٢٦.
(٣) سورة هود: الآية ١٣.

٢ ـ ومعنى به قائم.

٣ ـ ورباط لهما ناظم.

وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها.

وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرقة في أنواع الكلام، فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً».

ثم ذكر بعض ما احتوى عليه القرآن من أحكام التوحيد والعبادة والتحليل والتحريم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأمر بمحاسن الأخلاق والزجر عن مساوئها ثم قال: «ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قُدَرُهم، فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته في شكله»[1].

الرابع: أن وجه الإعجاز هو بلاغته:

التي فاقت ما عرفته العرب من صور البلاغة وعجزوا عن الإتيان بمثلها وقال بهذا القول عدد من أئمة البلاغة والبيان كالعسكري[2] وحازم القرطاجني[3] والسكاكي الذي ذكر أربعة أقوال لوجه الإعجاز في القرآن فردها كلها ثم قال: «فهذه أقوال أربعة يخمسها ما يجده أصحاب الذوق من

(١) بيان إعجاز القرآن: الخطابي. ص:٢٤ ـ ٢٥.
(٢) فكرة إعجاز القرآن: نعيم الحمصي، ص:٦٥.
(٣) الإتقان: السيوطي، ج:٢ ص:١٥٢.

أن وجه الإعجاز هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة ولا طريق لك إلى هذا الخامس إلا طول خدمة هذين العلمين بعد فضل إلهي»[1].

الخامس: أن وجه الإعجاز في القرآن الكريم علومه ومعارفه:

وذهب إلى هذا القول عدد من العلماء قديماً وحديثاً قال به الغزالي (ت٥٠٥هـ) والفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) والزركشي (ت٧٩٤هـ) والسيوطي (ت٩١١هـ) ومن المتأخرين الجوهري والإسكندراني والكواكبي والمراغي ومحمد رشيد رضا ومحمد فريد وجدي والقاسمي ومصطفى الرافعي ومحمود شكري الألوسي وابن باديس والغمراوي وعبد الرزاق نوفل وغيرهم كثير[2] وسيأتي إن شاء الله مزيد بيان لهذا الوجه.

والأقوال في وجه الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة وكثرتها ناشئة من تكرار بعضها إذ أن بعض هذه الأوجه داخل في بعض قال الألوسي: «قد أطال العلماء الكلام على وجه إعجاز القرآن وأتوا بوجوه شتى، الكثير منها خواصه وفضائله»[3].

والرأي الراجح في وجه الإعجاز في القرآن أن لا يقتصر على وجه واحد فإعجازه مركب من وجوه عدة فهو معجز في نظمه وفي أسلوبه وفي بلاغته وفي أخباره وفي علومه ومعارفه كما قال الزركشي رحمه الله تعالى وهو يعدد أوجه الإعجاز: «الثاني عشر: وهو قول أهل التحقيق أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال، لا بكل واحد على انفراده فإنه جمع كلّه، فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق»[4] وقال الألوسي في ترجيحه «والذي يخطر بقلب هذا

(١) مفتاح العلوم: السكاكي. ص:٢١٦.
(٢) انظر كتابي اتجاهات التفسير في القرآن الرابع عشر، جـ:٢ ص:٥٥٠ وما بعدها.
(٣) روح المعاني: الألوسي، جـ:١ ص:٢٩.
(٤) البرهان في علوم القرآن: الزركشي. جـ:٢ ص:١٠٦.

الفقير أن القرآن بجملته وأبعاضه حتى أقصر سورة منه معجزة بالنظر إلى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب وموافقته لقضية العقل ودقيق المعنى، وقد يظهر كلها في آية، وقد يستتر البعض كالأخبار عن الغيب ولا ضير ولا عيب فما يبقى كافٍ في العرض وافٍ.

نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكب[1]

وسنذكر بعد ذلك بعض أوجه إعجاز القرآن الكريم بشيء من التفصيل المناسب للمقام.

الإعجاز اللغوي:

وهو أبرز وجوه الإعجاز وأظهرها. إذ هو المطابق لأحوال العرب وقت نزول القرآن فالتحدي يكون بجنس ما برز فيه القوم وتفوقوا وهم تفوقوا في البيان والبلاغة والفصاحة ولم يتفوقوا في العلوم والمعارف وأخبار الغيب أو التشريع أو نحو ذلك فكان الإعجاز بالبيان أظهر وجوه التحدي وأبرزها.

والقوم أدركوا أول ما أدركوا إعجازه البياني فملك منهم الألباب واستولى على الأفئدة.

ويطلق على هذا الوجه عدة مصطلحات فيسمى: (الإعجاز اللغوي) و(الإعجاز البياني) و(الإعجاز البلاغي) وتدخل في هذا المعنى أيضاً أقوالهم المختلفة في أن إعجاز القرآن (بلاغته) أو (فصاحته) أو (ما تضمنه من البديع) أو (نظمه) أو (أسلوبه) أو غير ذلك من فروع اللغة العربية.

والناظر في هذا القرآن الكريم لا يخلو من حالتين[2]:

الأولى: أن لا يكون ممن أوتوا قوة المعرفة للفصل بين درجات

(١) روح المعاني: الألوسي جـ:١ ص:٢٩، والبيت لأبي الطمحان القيني، انظر الشوارد: للأستاذ عبد الله بن خميس. جـ:١ ص:٦٠ والقافية عنده (كواكبه).
(٢) لمزيد من التوسع والبيان انظر كتاب النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز. ص:٩٢ وما بعدها ومنه اقتبست أفكار هذا المبحث وزينته ببعض ألفاظه.

الكلام والتفريق بين البليغ والأبلغ والفصيح والأفصح.

الثانية: أن يكون قد أوتي حظاً من التمييز بين الأساليب ومعرفة درجات البلاغة والفصاحة.

فإن كنت من الفئة الأولى فلا سبيل لك لمعرفة إعجاز القرآن وبلاغته بحسك وذوقك وإنما سبيلك أن تقنع بشهادة أهل الخبرة والمعرفة، وهم هنا أهل الفصاحة والبلاغة، والبيان والبديع وأعلمهم بذلك سليقة، وأجودهم فطرة، وأتقنهم تربية وسماعاً هم من نزل عليهم القرآن وأولئك قد أقروا بذلك في مشاهد عديدة، وأقوال كثيرة فهذا الوليد بن المغيرة يقول لمن أنكر عليه سماعه للقرآن وتأثره به «والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾[1] وقد وصف الله تفكيره بقوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾[2].

قال الدكتور محمد عبد الله دراز: «فانظر تصوير القرآن للجهد العنيف الذي بذله الرجل في إصدار حكمه الثاني حيث يقول: إنه فكر وقدر، ثم نظر، ثم عبس وبسر، ثم أدبر واستكبر ومعنى هذا كله أنه كان يقاوم فطرته ويستكره نفسه على مخالفة وجدانه، وأنه كان في حيرة وضيق بما يقول.. وأخيراً استطاع أن يقول ما قال نزولاً على إرادة قومه، وانظر الفرق بين

(١) رواه الحاكم في مستدركه: جـ:٢ ص:٥٠٦ ـ ٥٠٧ وقال هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والآية: ١١ من سورة المدثر.
(٢) سورة المدثر: الآية ١٨ ـ ٢٥.

هذا الحكم المصطنع وبين حكم البديهة العربية في قوله أول مرة: إنه يعلو وما يعلى وإنه يحطم ما تحته» هذه شهادة أهل اللغة نفسها وهي شهادة خصم والفضل ما شهدت به الأعداء.

وإذا لم ترَ الهلال فسلم ... لأناس رأوه بالأبصار

وإن كنت من الفئة الثانية وهم الذين أوتوا حظاً من تذوق البيان وشيئاً من إدراك الفصاحة والبلاغة فدونك نصوص البلغاء، وأبيات الشعراء، وكلمات الخطباء اختر منها ما شئت من أرقى عصور البلاغة وأعلى صور البيان ثم انظر في آية من آيات القرآن ستجد البون شاسعاً، والفرق كما بين الثرى والثريا أو السماء والأرض.

فإن قلت: نعم لقد نثرت كنانة الكلام بين يدي وعجمت سهامها، فما وجدت كالقرآن أصلب عوداً، ولقد وردت مناهل القول وتذوقت طعومها فما وجدت كالقرآن أعذب مورداً، وقد آمنت أنه كما وصفتموه غير أن الذي أحس به من ذلك معنى يتجمجم في الصدر لا أحسن تفسيره ولا أملك تعليله، فهل من سبيل إلى عرض شيء من ذلك علينا لتطمئن به قلوبنا ونزداد إيماناً إلى إيماننا؟

قلنا: إن هذا أمر جسيم، ومرام بعيد لا يمكن رسمه في هذه العجالة ولو طالت، ولعلنا نذكر ما يقرب البعيد ويدنيه، ونتحدث عن أمرين:

أولهما: ألفاظه وهي القشرة البادية.

ثانيهما: **معانيه وهي اللآلئ الكامنة**.

فأول ما يلاقيك من ألفاظه خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره.

١ ـ دع القارئ المجود يقرأ القرآن يرتله حق ترتيله نازلاً بنفسه على هوى القرآن لا بنفس تاليه ثم انتبذ منه مكاناً قصياً لا تسمع فيه جرس حروفه ولكن تسمع حركاتها وسكناتها، ومداتها وغناتها، ووصلها وسكتها ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية وستجد اتساقاً وائتلافاً يسترعي

سمعك لا يعروك منه على كثرة ترداده ملل ولا سأم. هذا الجمال في لغة القرآن لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن حتى الذين لا يعرفون لغة العرب فكيف يخفى على العرب أنفسهم. إنه النظام الصوتي البديع الذي قسمت فيه الحركة والسكون تقسيماً منوعاً، ووزعت في تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعاً بالقسط يساعد على ترجيع الصوت به وتهادي النفس فيه آناً بعد آن.

٢ ـ وإذا ما قربت أذنك قليلاً قليلاً فطرقت سمعَك جواهرُ حروفه خارجة من مخارجها الصحيحة فاجأتك منه لذة أخرى في نظم تلك الحروف ورصفها وعلاقاتها مع بعضها فهذا ينقر وهذا يصفر وذاك يهمس وذلك يجهر وآخر يتزلق عليه النفس، وآخر يحتبس عنده النفس وهلُمَّ جراً، فترى الجمال اللغوي ماثلاً أمامك في مجموعة مختلفة مؤتلفة.

من هاتين الصفتين السابقتين تتألف القشرة السطحية للجمال القرآني وليس الشأن في هذا الغلاف إلا كشأن الأصداف مما توحيه اللآلئ النفيسة؛ فاقتضت حكمته تعالى أن يصون معاني القرآن الكريم السامية بألفاظ عذبة تغري بطلاوتها، وتكون بمنزلة (الحداء) يستحث النفوس على السير إليها، ويهون عليها عناء السفر في طلبها، لا جرم اصطفى لها من هذا اللسان العربي المبين ذلك القالب العذب الجميل ومن أجل ذلك سيبقى صوت القرآن أبداً في أفواه الناس وآذانهم ما دامت فيهم حاسة تذوق وحاسة تسمع وإن لم يكن لأكثرهم قلوب يفقهون بها حقيقة سره، وينفذون بها إلى بعيد غوره.

ثانياً: المعاني:

فإن لم يلهك جمال القشرة البادية عن سامي المعاني المستترة، فكشفت الصدفة عن درها، ونفذت من هذا النظام اللفظي إلى ذلك النظام المعنوي تجلى لك ما هو أبهى وأبهر، ولقيت ما هو أروع وأبدع، ولا تحسبن ذلك الأمر لا يظهر أمره إلا في مجموع القرآن بل يظهر ذلك في

القطعة منه، ويظهر في السورة، وسنعرض لك لمحة سريعة عن هاتين المرتبتين:

أولاً: بيان القرآن في قطعة قطعة منه:

فمن صفاته:

١ ـ القصد في اللفظ والوفاء بالمعنى:

وهما طرفان متقابلان الميل لأحدهما ميل عن الآخر فمن أوجز في لفظه لا ينفك من أن يحيف على المعنى قليلاً أو كثيراً ومن يعمد إلى الوفاء بالمعنى وإبراز كل دقائقه لا يجد في قليل اللفظ ما يشفي صدره فيسترسل استرسالاً يشعرك بتضاؤل قوة نشاطك واضمحلال باعثة إقبالك؛ فإن سرك أن ترى كيف تجتمع هاتان الغايتان على تمامهما بغير فترة ولا انقطاع فانظر حيث شئت من القرآن الكريم تجد وفاء الألفاظ بحق المعاني واحتواء المعاني للألفاظ بحيث لا يستغني معنى عن لفظة ولا تقصر لفظة عن معنى كما قال ابن عطية: «لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد»[1].

٢ ـ خطاب العامة وخطاب الخاصة:

وهما أيضاً غايتان متباعدتان فما تخاطب به الذكي لا تخاطب به الغبي، وما تخاطب به الطفل لا تخاطب به الكبير، أدرك العرب ذلك وسدوا عجزهم عنه بعبارات مثل «لكل مقام مقال» ونحو ذلك.

وجاء القرآن الكريم وقد ملك الغايتين فهو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام وأبلغه، ويراه العامة أحسن كلام وأوضحه.

---

(١) المحرر الوجيز: ابن عطية. ج:١ ص:٦٠ ـ ٦١.

٣ ـ إقناع العقل وإمتاع العاطفة:

وفي كل إنسان قوتان:

أ ـ قوة تفكير.

ب ـ قوة عاطفة ووجدان.

والقوة الأولى تغوص باحثة عن الحقائق المستترة والمعاني الباطنة، وأما الثانية فتطفو تبحث عن الجمال الظاهر في القشرة البادية. والنفس الإنسانية إما أن تغوص مع تلك أو تطفو مع هذه، ولا تستطيع أن تغوص وتطفو في آن واحد أو لحظة واحدة.

وحين تظهر (قوة الوجدان) تضعف (قوة التفكير) فلا يتقن عقله فكراً فإن وفى المتكلم بحق العقل بخس حق العاطفة وإن وفى بحق العاطفة بخس حق العقل فإما أن يأتي بكلام علمي مجرد يرضي به عقله أو بكلام أدبي منمق يرضي به عاطفته حتى بات الناس يقسمون **الأساليب إلى نوعين لا ثالث لهما:**

أ ـ أسلوب علمي.

ب ـ أسلوب أدبي.

وقسمت الدراسة في عصورنا هذه إلى علمية أو أدبية؛ فلا تطمع من إنسان في أن يهب لك هاتين الطلبتين على سواء وهو لم يجمعهما في نفسه على سواء وما كلام المتكلم إلا نتاج قوته إما قوة التفكير وإما قوة الوجدان وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.

حاشا القرآن الكريم الذي جمع (قوة الحقيقة البرهانية) (وقوة المتعة الوجدانية) تدبروا في آيات القرآن الكريم فسترون أنها في معمعة البراهين والأحكام لا تنسى نصيب القلب والوجدان ذلك أنها كلام الله رب العالمين الذي لا يشغله شأن عن شأن.

٤ ـ البيان والإجمال:

وهما أيضاً أمران متقابلان لا يكادان يجتمعان في كلام إن وجد الأول اضمحل الثاني وإن وجد الثاني تلاشى الأول. فكلام البشر إما أن يكون مجملاً وإما أن يكون مبيناً وأنى له أن يكون مجملاً مبيناً في آن واحد.

أما القرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى فالأمر غير ذلك تقرأ الآية القرآنية فتجد فيها من الوضوح والظهور ما يبوئها الدرجة العليا في البيان بأسلوب محكم خال من كل غريب عن الغرض، يسبق معناها إلى نفسك دون كد ذهن ولا إعادة تلاوة فإن أعدت النظر مرة أخرى لاح لك منها معان جديدة فإن زدت التدبر زاد العطاء وانكشف لك ما يجعلك توقن أن في الآية (إجمالاً) لمعان عديدة مع بيان ووضوح.

ثانياً: بيان القرآن في سورة سورة منه:

وهي أيضاً مرتبة من مراتب البيان في القرآن لها صفات وخصائص أهمها:

الكثرة والواحدة:

فالكلام هو مرآة المعنى فإن ساء نظمه تبددت معانيه كما تتبدد الصورة الواحدة على المرآة المهشمة أو غير المستوية السطح.

ولا بد لإبراز المعنى ووضوحه من إحكام ألفاظه وإتقان بيانه وذلك بتمام التقارب بين كلماته والترابط بين جمله حتى تتماسك وتتعانق أشد ما يكون التماسك وأقوى ما يكون العناق.

وليس ذلك بالأمر الهيّن بل هو مطلب شاق يحتاج إلى مهارة وحذق، ولطف وحس في اختيار أحسن المواقع لتلك الأجزاء، أيها أحق أن يجعل أصلاً أو تتمة، وأيها أحق أن يبدأ به أو يختم، ثم اختيار أحسن الطرق للمزج بينها بالإسناد أو التعليق أو بالعطف، وغير ذلك من أسباب الترابط،

ذلك حال المعنى الواحد الذي تتصل أجزاؤه فيما بينها، فما ظنك بالمعاني المختلفة في جوهرها، كم تحتاج من المهارة والحذق؟ ولهذه المشقة نرى كثيراً من البلغاء حين ينتقل من معنى إلى معنى لا يستغني عن استعمال بعض الأدوات لسد الثغرة التي يحدثها الانفصال بين المعاني من نحو قولهم (وبعد) أو (ونعود) أو (ننتقل إلى الحديث عن) أو (وسنتحدث) أو (بقي علينا) ونحو ذلك...

وهذا شأن البلغاء في الحديث الواحد في المجلس الواحد فكيف لو جاء حديثه في أماكن مختلفة وأزمان متباعدة ألا تكون سمات الانفصال وظواهر الانقطاع أقوى وأشد.

حاشا القرآن فقد اشتملت السورة منه على وصف، وقصص، وتشريع، وجدل، وعقائد، وأمر، ونهي، ونزلت السورة في أوقات مختلفة وأزمان متباعدة، ورتبت آياتها بطريقة عجيبة يرسم مكان الآية ويحدد قبل أن تنزل الآية التي قبلها أو التي بعدها ثم لا يحدث أن تنقل من موضعها إلى آخر فإذا نزل ما حولها من الآيات رأيت الترابط والتلازم كأنهن قطعة واحدة بل رأيتهن مع بقية آيات السورة كأنهن سبيكة واحدة فلا تجد فرقاً ولا يستبين لك أمر في معرفة ما نزل من السورة منجماً وما نزل منهن مفرقاً فجاءت الكثرة الكاثرة من المعاني في السورة كأنهن معنى واحداً أو آية واحدة محكمة السبك متقنة السرد[1][2].

(١) إن شئت دراسة وافية دقيقة لنموذج تطبيقي لهذا المعنى فانظر ما كتبه الدكتور محمد عبد الله دراز عن الكثرة والواحدة في سورة البقرة في كتابه النبأ العظيم من ص: ١٤٢ إلى نهاية الكتاب.

(٢) إلى هنا انتهى ما اقتبسته مما كتبه في هذا الموضوع الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه القيم (النبأ العظيم) من ص: ٩٢، ولمزيد بيان انظر ما كتبه الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه (مناهل العرفان) جـ: ٢ ص: ٣٢٥ ـ ٣٥٣. والأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، ص: ٢١٣ ـ ٣٠٩.

الإعجاز العلمي:

القرآن الكريم كلام الله، والكون كله من خلق الله، ولا يشك مؤمن في التطابق التام بين كلام الله تعالى وبين حقائق هذا الكون ونظامه.

ولا ريب أن المؤمن حين يقرأ اكتشافاً علمياً جديداً أثبته العلماء بالبرهان القاطع ثم يجد ذلك مذكوراً في القرآن أو ما يوافقه فإنه يشعر بزيادة الطمأنينة القلبية كالتي طلبها إبراهيم عليه السلام وبفرح وسرور كفرح الرسول ﷺ بحديث الجساسة[1].

لكن هذه المقارنة أو التوفيق بين النص القرآني الكريم والاكتشاف العلمي الجديد ينبغي أن تكون له ضوابطه وأن تكون له موازينه. ولهذا وقع الاختلاف بين العلماء في التفسير العلمي للقرآن الكريم بين مؤيد ومعارض.

المراد به:

يراد بالتفسير العلمي: «اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم ومكتشفات العلم التجريبي والربط بينهما بوجه من الوجوه» وهذا تعريفه بما هو عليه، أما تعريفه بما ينبغي أن يكون عليه فهو: «كشف الصلة بين النصوص القرآنية وحقائق العلم التجريبي».

والفرق بينهما أن في الأول خلطاً بين النظريات والحقائق بحيث نجد كثيراً من المفسرين يفسرون القرآن بهما من غير تحقيق، وما ينبغي أن يكون هو التمييز بين النظريات والحقائق والاقتصار على الثانية دون الأولى في تفسير القرآن الكريم.

أقوال العلماء في الإعجاز العلمي[2]:

مما لا شك فيه أن مثل هذا اللون من التفسير في جدته وتجدده

(١) انظر حديث الجساسة في صحيح مسلم جـ: ٤ ص: ٢٢٦١.

(٢) نقلت هذا المبحث بتصرف يسير من كتابي اتجاهات التفسير، جـ: ٢ ص: ٥٥٠، وما بعدها.

سيكون له خصوم، وسيكون له أنصار، يلتمس كل منهم دليلاً، ينصر به رأيه، ويؤيده به، ثم يكر على دليل الخصم فيبطله.

وقد كان هذا الأمر في التفسير العلمي للقرآن الكريم منذ لحظات بزوغه، ونحن وإن كنا لا نعرف هذا الحدث باليوم أو بالسنة إلا أن العلماء اتفقوا على أن الإمام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ من أوائل المتكلمين في هذا النوع من التفسير وعلى هذا فيكون ظهوره على وجه التقريب في أواخر القرن الخامس الهجري، واتفقوا أيضاً على أن الغزالي نفسه أكثر من استوفى بيان هذا القول إلى عهده[١].

ومما لا شك فيه أن الغزالي لم يكن وحيداً في الميدان يجول ويصول فقد نزل معه أنصار ونازله خصوم وما زالت المعركة قائمة لم يهدأ لها بال ولم تقعد لها قائمة وانقسموا إلى فريقين أو ثلاثة:

١ ـ المؤيدون للتفسير العلمي.

٢ ـ المعارضون.

٣ ـ المعتدلون.

المؤيدون للتفسير العلمي:

ومن المؤيدين للتفسير العلمي الإمام الغزالي، الفخر الرازي، الزركشي، السيوطي، البيضاوي، نظام الدين النيسابوري، ومن المعاصرين الألوسي، وطنطاوي الجوهري، والإسكندراني، والكواكبي، ومحمد فريد وجدي، والرافعي، والقاسمي وغيرهم.

(١) انظر مثلاً: التفسير معالم حياته: أمين الخولي ص:٢٠ والتفسير والمفسرون: الذهبي جـ:٣ ص:١٤٠ ولمحات في علوم القرآن: محمد الصباغ ص:٢٠٣ والتفسير العلمي للقرآن الكريم: عبد الله الأهدل، ص:١٨٥ واتجاهات التفسير في العصر الراهن: عبد المجيد المحتسب. ص:٢٤٧، وغيرهم.

من أدلة المؤيدين للتفسير العلمي:

استدل المؤيدون للتفسير العلمي بأدلة كثيرة منها[١]:

١ ـ الاستدلال بظاهر عموم بعض الآيات:

كقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾[٤] وقوله سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[٥] وغير ذلك من الآيات الداعية إلى التفكر والتدبر في خلق الله عز شأنه.

٢ ـ الاستدلال بظاهر عموم بعض الأحاديث والآثار:

كحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «ستكون فتن قيل: وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم.. الحديث»[٦].

وما أخرجه سعيد بن منصور عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين»[٧].

٣ ـ وقالوا أن الله سبحانه وتعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم

(١) نقلت هذه الأدلة بتصرف من بحث (التفسير بمكتشفات العلم التجريبي) للدكتور محمد الشايع مجلة جامعة الإمام، العدد الرابع ١٤١١هـ ص:٣٧ ـ ٤٠.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(٣) سورة النحل: الآية ٨٩.

(٤) سورة ق: الآية ٦.

(٥) سورة فصلت: الآية ٥٢.

(٦) رواه الترمذي جـ:٥ ص:١٧٢، وقال: «هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول وفي الحارث مقال «وتعقبه ابن كثير في فضائل القرآن: ص:١١، فقال: «... بل قد رواه محمد ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور.. ثم قال.. وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود».

(٧) الإتقان: السيوطي جـ:٢ ص:١٢٦.

والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالهم جائزاً لما ملأ الله كتابه منها[1].

٤ ـ أن العلم الحديث قد يكون ضرورياً لفهم بعض المعاني القرآنية وليس هناك ما يمنع من أن يكون فهم بعض الآيات فهماً دقيقاً متوقفاً على تقدم بعض العلوم فتكون الحقيقة العلمية من قواعد الترجيح في التفسير إذا كان للآية أكثر من معنى فيتعين أن يؤخذ بالمعنى الذي تؤيده الحقائق العلمية.

٥ ـ تحقق فوائد كثيرة ومنافع كبيرة من التفسير العلمي منها[2]:

أ ـ إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن الكريم بإثبات التوافق بين حقائق القرآن الكريم وحقائق العلم.

ب ـ استمالة غير المسلمين إلى الإسلام وإقناعهم به ببيان إعجاز القرآن العلمي، وإقامة الحجة عليهم بذلك.

جـ ـ امتلاء النفوس إيماناً بعظمة الله جل جلاله وعظيم سلطانه وقدرته بعد الوقوف على أسرار الكون التي كشفها القرآن.

المعارضون للتفسير العلمي:

ومن المعارضين للتفسير العلمي أبو حيان الأندلسي والشاطبي، ومحمود شلتوت، وأمين الخولي، وسيد قطب وغيرهم.

(١) تفسير الرازي: جـ:٤ ص:١٢١.

(٢) انظر كتابي (اتجاهات التفسير)، جـ:٢ ص:٦٠٢.

من أدلة المعارضين[1]:

واستدل المعارضون للتفسير العلمي بأدلة منها:

١ ـ أن للتفسير شروطاً وقيوداً قررها العلماء ينبغي الالتزام بها فلا يكون تفسير القرآن مباحاً لكل من حصل علماً من العلوم وغابت عنه علوم أخرى لا بد منها للمفسر. ومن ذلك عدم تحميل ألفاظ القرآن معاني وأطلاقات لم توضع لها ولم تستعمل فيها.

٢ ـ أن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وليس بكتاب تفصيل لمسائل العلوم ونظرياته ودقائق الاكتشافات والمعارف ومن طلب ذلك من القرآن فقد أساء فهم طبيعة هذا القرآن ووظيفته.

٣ ـ أن التفسير العلمي مدعاة إلى الزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه من المعاصرين لأن عملية التوفيق تفترض غالباً محاولة للجمع بين موقفين يتوهم أنهما متعاديان ولا عداء، أو يظن أنهما متلاقيان ولا لقاء[2].

٤ ـ أن تناول القرآن بهذا المنهج يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التي تحتملها ألفاظ النص القرآني لأنه يحس بالضرورة متابعة العلم في مجالاته المختلفة فيتعجل تلمس المطابقة بين القرآن والعلم تعجلاً غير مشروع.

٥ ـ أن ما يكشف من العلوم إنما هو نظريات وفروض قابلة دائماً للتغيير والتبديل، والتعديل، والنقض، والإضافة بل قابلة لأن تنقلب رأساً على عقب ومن ثم فلا يصح أن نعلق الحقائق القرآنية النهائية بمثل تلك النظريات حتى لا نقف محرجين عند ثبوت بطلان تلك النظرية.

(١) انظر كتابي اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، جـ:٢ ص:٦٠٢ ـ ٦٠٣ والتفسير بمكتشفات العلم التجريبي: د. محمد الشايع ٢٨ ـ ٣٣.

(٢) معالم الشريعة: د. صبحي الصالح، ص:٢٩٠.

الرأي المختار[1]:

قبل أن نذكر ما نراه صواباً يجب أن نذكر حقيقة ينبغي إدراكها وهي التفريق بين التفسير العلمي، والإعجاز العلمي. فالأول هو مثار البحث والمناقشة وأما الثاني فقضية مسلمة لا نزاع فيها.

ذلكم أن المؤيدين للتفسير العلمي والمعارضين له أيضاً كلهم بلا استثناء يقرون ويعترفون أن القرآن الكريم لم ولن يصادم حقيقة علمية.

لم يقولوا هذا عن عاطفة مجردة، ولم يقله أتباع القرآن فحسب، وإنما قاله أولئك، وقاله خصومه أيضاً، بعد أن تناولوا آيات عديدة منه، وقلبوها دراسة وتأملاً، وتدبراً، ونظروا فيما بين أيديهم من النظريات والحقائق العلمية حتى انتهوا إلى ما انتهوا إليه.

وقد يحسب أحد أن السلامة من مصادمة الحقائق العلمية أمر هين فما على المتكلم إلا أن يتجنب الخوض في مجالاتها، ويحذر من الوقوع في مبهمات العلوم، وغوامض المعارف، وأسرار الكون وخفايا العلم وبذا يظفر بهذه السمة.

والأمر حق لو كان القرآن سلك هذا المسلك لكنه وقد أنزل قبل أربعة عشر قرناً من الزمن عرض لكثير من مظاهر هذا الكون كخلق السموات والأرض وخَلْقِ الإنسان، وسَوْقِ السحب وتراكمه، ونزول المطر، وجريان الشمس، وتحدث عن القمر والنجوم والشهب وأطوار الجنين. وعن النبات والبحار وغير ذلك كثير ومع ذلك كله لم يسقط العلم كلمة من كلماته، ولم يصادم جزئية من جزئياته[2]، فإذا كان الأمر كذلك فإن هذا بحد ذاته يعتبر إعجازاً علمياً للقرآن حتى ولو لم يتم الربط بين الآية والاكتشاف العلمي الحديث.

---

(١) نقلته بتصرف من كتابي اتجاهات التفسير جـ:٢ ص:٦٠٠ ـ ٦٠٤.

(٢) انظر كتابي (خصائص القرآن الكريم) ص:٧٥ ـ ٧٦.

وهذا أمر يدركه ويقره كل العلماء لا ينكره أحد فالإعجاز العلمي في القرآن متحقق مدرك ثابت، لا خلاف فيه.

ثم انقسم العلماء بعد ذلك إلى قسمين فمنهم من قال: ما دام الإعجاز العلمي متحققاً في القرآن وثابتاً فما علينا أن نطبقه بين آياته واحدة واحدة وبين الحقائق العلمية واحدة واحدة وامتنعت طائفة أخرى عن تطبيقه لا خوفاً عليه من النقض وليس لخشية على حقائقه، ولكن لعدم الثقة في مداركنا نحن البشر فقد نحسب نظرية علمية حقيقة علمية فما تلبث إلا قليلاً حتى تتقوض بعد رسوخ، وتتزعزع بعد ثبوت، ولات حين مناص نقع في الحرج الشديد فيُكَذَّبُ القرآن وهو الصادق فتكون البلية، فالعيب والنقص في مداركنا وليس في حقائق القرآن.

وبهذا تدرك أن الجميع يقول بالإعجاز العلمي في القرآن لكن منهم من قال بجواز التفسير العلمي ومنهم من منعه **والذي نراه صواباً** هو الوسط بين الفريقين.

فلا رفض ولا إنكار للتفسير العلمي يمنع من إدراك وجوه الإعجاز الجديدة، ويدفع مزاعم القائلين بالعداوة بين الدين والعلم، ويمنع من استمالة غير المسلمين أو يحث على الانتفاع بقوى الكون.

ولا تسليم مطلق للتفسير العلمي لأن إعجاز القرآن ثابت وغني عن أن يسلك في بيانه هذا المسلك، كما أن الدعوة إلى النظر في الكون دعوة لمواضع العبرة والعظة وليس بالضرورة إلى بيان دقائقها وكشف علومها ولأن التفسير العلمي مدعاة إلى الزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه وأن تناول القرآن بهذا المنهج يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التي تحتملها ألفاظ القرآن ويحملها ما لا تحتمل فضلاً عن أن ما يكشف من العلوم إنما هو فروض ونظريات قابلة دائماً للتغيير والتعديل والنقص والإضافة.

إذاً فلا رفض مطلق ولا قبول مطلق بل وسط بين طرفين وجمع بين حقيقتين حقيقة قرآنية ثابتة بالنص الذي لا يقبل الشك، وحقيقة علمية ثابتة بالتجربة والمشاهدة القطعيين.

لهذا فلا بأس - فيما أرى - من إيراد الحقائق العلمية الثابتة في تفسير القرآن بشرط:

١ - ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية.

٢ - أن تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها.

٣ - أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة العلمية.

٤ - أن لا تذكر هذه الأبحاث على أنها هي التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه، بل تذكر لتوسيع المدلول، وللاستشهاد بها على وجه لا يؤثر بطلانها فيما بعد على قداسة النص القرآني ذلك أن تفسير النص القرآني بنظرية قابلة للتغيير والإبطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية في أذهان الناس كلما تعرضت نظرية للرد أو البطلان[1].

فإذا تحققت هذه الشروط فلا مانع من إيراد الحقائق العلمية في كتب التفسير والله أعلم.

من المؤلفات في الإعجاز العلمي:

هناك مؤلفات كثيرة في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم أذكر منها:

١ - الجواهر في تفسير القرآن الكريم: طنطاوي جوهري.

٢ - كشف الأسرار النورانية القرآنية: محمد بن أحمد الإسكندراني.

٣ - القرآن ينبوع العلوم والعرفان: علي فكري.

(١) مجلة كلية أصول الدين، العدد الثاني ص٥٨، مقال: نظرات في مدرسة التفسير الحديثة. د. مصطفى مسلم.

٤ - ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان: محمود شكري الألوسي.

٥ - التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن: حنفي أحمد.

والمؤلفات في ذلك كثيرة جداً، وهناك محاضرات وأفلام على هذا النحو، كما أُنشِأت في المملكة العربية السعودية هيئة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة تابعة للمجلس الأعلى للمساجد تعقد الندوات والمحاضرات وتطبع الكتب المتعلقة بذلك.

أمثلة للتفسير العلمي:

والأمثلة على الحقائق العلمية والآيات القرآنية التي توافقها ولا تخالفها كثيرة ليس بوسعنا أن نوردها بالتفصيل بل نذكر الآية وما تشير إليه بإيجاز شديد ومن أراد التوسع فدونه كتب الإعجاز العلمي:

١ - في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾[1] تفريق بين الشمس والقمر ثم أدركه العلماء بعد ذلك.

٢ - في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾[2] إشارة إلى شكل الجبل الظاهر والباطن وأدركه العلماء بعد ذلك.

٣ - في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾[3] إشارة إلى مراحل خلق الإنسان في الرحم ولم يدركها العلماء إلا في العصور الحديثة.

٤ - في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦

(١) سورة يونس: الآية ٥.
(٢) سورة النبأ: الآيتين ٧ - ٨.
(٣) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾[1] إشارة إلى موضع تكوُّن النطفة وهو أمر لم يدركه العلماء إلا حديثاً.

٥ - في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾[2] في تخصيص البنان بالذكر صفة تميزه عن غيره من أعضاء الجسم لم يكتشفها العلم إلا حديثاً وهو علم البصمات.

٦ - في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾[3] إشارة إلى مركز الحس بالألم في الإنسان وهو الجلد.

٧ - في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[4] إشارة إلى ضيق صدر من يصعد إلى السماء وهو أمر لم يكتشفه العلم إلا حديثاً حيث يقل الأوكسجين وينخفض الضغط.

٨ - وفي قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾[5] إشارة إلى ما اكتشف العلم الحديث بعضه من عظمة هذا الكون واتساعه الذي يقصر عن إدراكه إنسان.

٩ - وفي قوله تعالى ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾[6] إشارة إلى ما كان مجهولاً من تحديد مصدر اللبن في الأنعام.

١٠ - وفي قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً

(١) سورة الطارق: الآيات ٥ ـ ٧.
(٢) سورة القيامة: الآية ٤.
(٣) سورة النساء: الآية ٥٦.
(٤) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.
(٥) سورة الواقعة: الآية ٧٥.
(٦) سورة النحل: الآية ٦٦.

مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾[1] إشارة إلى أن الإنسان يخلق من جزء ضئيل جداً (نطفة) من المني وهذا ما كشفه العلم الحديث.

وسبحان الذي أحاط بكل شيء علماً...

الإعجاز التشريعي:

والمراد بهذا الوجه ذلكم (التشريع) الذي جاء به القرآن الكريم الشامل الكامل المحكم المتقن.

(شامل) لكافة أوجه التشريع سواء ما يتعلق منها بالفرد أو في المجتمع، وسواء أكان في العقيدة أو العبادة أو المبادئ والأخلاق، أو الاجتماع، أو الاقتصاد، أو السياسة في السلم أو الحرب، في السفر أو الحضر، في الليل أو النهار.

(كامل) لاستيفائه لدقيق المسائل وجليلها، وصغيرها وكبيرها.

(محكم متقن) لا نقص فيه ولا عيب، ولا قصور ولا خلل.

أحكم تشريع، وأكمل نظام، عجز البشر ولا زالوا عن الإتيان بمثل تشريعه، أو الإتيان بمثل سياسته أو نظامه فحين ننظر في التشريعات البشرية والقوانين الوضعية نرى البون الشاسع بين هذا وذاك مما يكشف لنا وجه الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

فهذا التشريع بشموله وكماله وإحكامه أكبر من أن تحيط به العقول البشرية في جيل واحد أو في مجموعة من الأجيال فضلاً عن أن يحيط به عقل بشري واحد في جيل واحد.

وليس من السهل أن نرسم في أسطر معالم هذا التشريع المعجز ولكنها إشارة مجرد إشارة بأصبع صغير إلى شيء عظيم. فنشير إلى أن

(١) سورة القيامة: الآيتان ٣٦ ـ ٣٧.

القرآن نزل في مجتمع جاهلي سادت فيه الجاهلية العقيدية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وليس من السهل في مثل هذا المجتمع نقد أمر من أمورها فضلاً عن تغييره أو قلب الأمور كلها فسلك القرآن مسلكاً عجيباً.

منهج القرآن في التشريع:

يقوم منهج القرآن في التشريع على أسس منها:

أولاً: تربية الفرد:

ومن شأن كل بناء أن يبدأ بالقطع الصغيرة يصفها بعضها إلى بعض حتى يصبح بناء عظيماً، والأفراد هم لبنات المجتمعات وتهذيب الأفراد وتربيتهم تأسيس لبناء محكم متقن ومن أُسس هذه التربية:

١ ـ تطهير قلبه من أدران الشرك:

ببيان أن هذه الأصنام والأوثان لا تضر ولا تنفع فلاتستحق العبادة، ووبخهم وشنع عليهم ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[1] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾[2] وقال سبحانه: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٦.
(٢) سورة الحج: الآية ٧٣.

بِهَا ۚ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾[2] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[3] وهكذا في آيات كثيرة كشف أحوال هذه الأصنام والأوثان التي يدعونها من دون الله وبسط الأدلة على عدم استحقاقها للعبادة، فطهر قلوبهم من أدران الشرك.

٢ ـ غرس عقيدة التوحيد:

وبعد أن نزع منهم عقيدة الشرك غرس في الأرض الطيبة عقيدة طيبة، وبعد أن نزع من قلوبهم عبادة الأصنام دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، مثبتاً استحقاقه سبحانه للعبادة وحده دون سواه ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4] وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾[5] وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾[6] وقال سبحانه: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾﴾[7].

(١) سورة الأعراف: الآيات ١٩١ ـ ١٩٦.
(٢) سورة سبأ: الآية ٢٢.
(٣) سورة فاطر: الآية١٣.
(٤) سورة الرعد: الآيات ٢ ـ ٤.
(٥) سورة الملك: الآية ٣٠.
(٦) سورة الملك: الآية ١٩.
(٧) سورة الأعلى: الآيات ١ ـ ٤.

ثم بين الوحدانية ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[1] ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[2] ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾﴾[3].

وحذر من أن يشرك به ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[4] ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[5] ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[6] ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾[7] ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾[8].

وإذا كان سبحانه إلهاً واحداً لا شريك له فالعبادة حق له سبحانه وحده ويجب الإذعان والإسلام له ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾[9] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[10] ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[11] ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[12] ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾[13].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٣.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٤.
(٣) سورة الصافات: الآية ٥.
(٤) سورة النساء: الآية ٤٨.
(٥) سورة النساء: الآية ١١٦.
(٦) سورة المائدة: الآية ٧٤.
(٧) سورة الإسراء: الآية ٢٢.
(٨) سورة الإسراء: الآية ٣٩.
(٩) سورة الحج: الآية ٣٤.
(١٠) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.
(١١) سورة الأنبياء: الآية ٩٢.
(١٢) سورة النساء: الآية ٣٦.
(١٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٢.

٣ ـ التربية بالعبادة:

وانتقل القرآن بالفرد من صحة العقيدة إلى صحة العبادة فشرع العبادات التي تهذب سلوك الفرد، وتربطه بربه في كل شأن من شؤونه ومنها:

أ ـ الصلاة:

وهي صلة بين العبد وربه، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي لقاء يومي بين المسلم وإخوانه خمس مرات في اليوم، ولقاء أسبوعي مع آخرين منهم في يوم الجمعة ولقاء سنوي كالعيدين وهي مدعاة للترابط والشعور بالمسؤولية المشتركة في بعضها كصلاة الكسوف والخسوف والاستسقاء.

وهي علاج لما نلاحظه في عصرنا هذا من تفكك اجتماعي بين الجيران حيث لا يكاد الجار يعرف جاره حتى اسمه. أرأيتم لو كان هؤلاء الجيران يلتزمون بهذه الشعيرة بأدائها في مسجد واحد خمس مرات في اليوم هل سينكر بعضهم بعضاً، أو يقع بينهم هذا التقاطع.

ب ـ الزكاة:

وهي تطهير للنفس من الشح والبخل أولاً، وكبح للنفس في لهاثها خلف المادة، وتعليم وأي تعليم أن المال وسيلة وليس بغاية، وتربية للنفس على الإحساس بمعاناة إخوانه المسلمين ومواساتهم، وإعانتهم على قضاء حوائجهم.

جـ ـ والصيام:

كبح لجماح النفس عن شهواتها، وتقوية للتحكم في رغباتها، وترويض لها على الصبر على الطاعات، والاعتدال في الملذات، حتى يسهل انقيادها لصاحبها، فلا تجمح به إن رام خيراً، أو تشرد به إلى الآفات والشرور.

وهو أيضاً تذكير للمسلم بحالة إخوانه الفقراء المحتاجين فإن كان المانع له عن الأكل الشرب في هذا الشهر هو التعبد فهناك من يمنعهم طول العام مانع آخر هو الفقر.

د ـ الحج:

وهو عبادة مالية، بدنية، وفي الأولى بذل للمال لركوبه، وزاده، وسكنه، وهديه، وغير ذلك. وفي هذا مثل ما في الزكاة، وفي الثانية تربية للنفس على تحمل المشاق وترك ما اعتادت في إقامتها من دعة أو سكون وتعويد لها على الصبر على حرارة الصيف أو برد الشتاء، وعلى الحلول والارتحال، وتغيير المبيت وكثرة التنقل أشبه ما يكون في جيش المجاهدين في سبيل الله، ولا تخفى آثار ذلك وفوائده.

وهو فوق هذا لقاء سنوي بين جموع المسلمين من شتى أقطار الأرض يتفقد فيه بعضهم أحوال بعض ويعرف بعضهم بعضاً فيشعر بالأخوة الإسلامية بأبعادها ويعاني بعض معاناتهم.

٤ ـ التربية بتهذيب السلوك:

وبعد تنقية القلب من أدران الشرك وغرس العقيدة الصحيحة وتوثيق الصلة بين العبد وربه رسم بحكمة العلاقة بين العباد وجعلها تقوم على المحبة والمودة ونهى عن كل ما يؤدي إلى ضعفها أو وهنها ونرى معالم هذه التربية في صور منها:

أ ـ تزكية النفس:

وذلك يكون بإلزامها بالآداب الحميدة والأخلاق الفاضلة فأمر بالصبر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ...﴾ الآيـــة[1] ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ

(١) سورة آل عمران: الآية ٢٠٠.

وَٱلصَّلَوٰةِ ...﴾ الآية[1] ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾[2].

وأمر بالصدق ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ...﴾ الآية[3] ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[4] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[5].

وأمر بالعدل والإحسان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[6] ونهى عن الأخلاق السيئة كالتبختر ورفع الصوت ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[7].

وأمر بغض البصر وحفظ الفرج ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾[8].

ب ـ توثيق أواصر الصلة بين العباد:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾[9] وأمر بالتآخي ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[10] وبالتعاون ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[11] وأمر بأداء الأمانة والعدل ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾[12].

(١) سورة البقرة: الآية ٤٥.
(٢) سورة الشورى: الآية ٤٣.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٥.
(٤) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٦) سورة النحل: الآية ٩٠.
(٧) سورة لقمان: الآيتين ١٨ ـ ١٩.
(٨) سورة النور: الآية ٣٠.
(٩) سورة الأحقاف: الآية ١٥.
(١٠) سورة الحجرات: الآية ١٠.
(١١) سورة المائدة: الآية ٢.
(١٢) سورة النساء: الآية ٥٨.

ج ـ نهى عن كل ما يؤدي إلى الفرقة والاختلاف:

فنهى عن السخرية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ...﴾ الآية[1] ونهى عن سوء الظن والغيبة والتجسس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ﴾[2] ونهى عن شهادة الزور وقول الزور ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢﴾[3].

وبهذا يكتمل بناء الفرد ويصبح لبنة صالحة لبناء أسرة صالحة، قائمة على أسس ثابتة، وقواعد راسخة.

ثانياً: بناء الأسرة:

ومن بناء الفرد وتهذيبه، وإصلاحه وتقويمه إلى بناء الأسرة الواحدة المترابطة المتماسكة وشرع لها نظامها وأسسها فمن ذلك:

أ ـ الزواج:

وهو الطريق الصحيح إلى بناء الأسرة، والأرض الصلبة التي يقوم عليها البناء، ولأهمية هذا الأمر وضرورته وحتى يجد الناس كلهم الدافع القوي لذلك جعل غريزة الجنس من أقوى الدوافع لسلوكه فهذبها بالزواج وحفظها بالآداب.

وبين ما للزوج على زوجته من حقوق وما للزوجة على زوجها من حقوق ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾[4].

(١) سورة الحجرات: الآية ١١.
(٢) سورة الحجرات: الآية ١٢.
(٣) سورة الفرقان: الآية ٧٢.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

وجعل القوامة للرجل ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[1] والقوامة هنا لا تعني التسلط ولو أدركت النساء في عصرنا هذا معنى القوامة حقاً لطالبن الرجال بالقوامة عليهن وأدائها، وأصررن على قيام الرجل بها، وحُقَّ لهن ذلك.

ب ـ تربية الأولاد:

ومن أسس بناء الأسرة حسن تربية الأولاد فهم أمانة في أعناق الآباء لهم حقوقهم في حسن التربية، والرعاية والنفقة حتى وهو في بطن أمه المطلقة.

ج ـ بر الوالدين:

وكما أمر الآباء بأداء حق الأولاد أمر الأبناء أيضاً ببر الوالدين وأوصى بذلك ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنٗاۖ﴾[2] ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾[3].

فإذا أدى الزوج حق زوجته وأدت الزوجة حق زوجها وأدى الابن حقوق والديه وأدى الآباء حقوق الأبناء أصبحت الأسرة متماسكة مترابطة تصلح وأي صلاح لبناء مجتمع قوي.

ثالثاً: بناء المجتمع:

وإذا كان بناء الأسر يقوم على بناء الأفراد وهم لبناته فإن بناء المجتمعات يقوم على هذه الأسر، وقد رسم القرآن نظام هذا المجتمع ووضع له أسسه ونظامه فشرع لذلك:

(١) سورة النساء: الآية ٣٤.
(٢) سورة الأحقاف: الآية ١٥.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

١ ـ الحكومة الإسلامية:

إذ لا يستقيم لمجتمع أن يظل على ترابطه ما لم يكن له حكومة تسوسه وترعاه، وتتفقده وتحميه وتنظم شؤونه، وترتب أموره، وجعل لهذه الحكومة نظامها وقواعدها فمن ذلك:

أ ـ الشورى:

وقد أمر الله بذلك نبيه ومن باب أولى ولاة الأمر من بعده ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[1] ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[2] ولأهمية الشورى سميت سورة كاملة باسمها.

ب ـ الحكم بما أنزل الله:

ويجب على هذه الحكومة أن تحكم بما أنزل الله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[3] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[4] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[5].

جـ ـ العدل:

الذي لا يفرق بين حاكم ومحكوم، وكبير وصغير، وغني وفقير، وعربي وعجمي، وأسود وأبيض، إلا بالتقوى ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
(٢) سورة الشورى: الآية ٣٨.
(٣) سورة المائدة: الآية ٤٤.
(٤) سورة المائدة: الآية ٤٥.
(٥) سورة المائدة: الآية ٤٧.

كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾[1] وقال سبحانه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2] وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾[3] وهو عدل لا يتأثر بغضب أو كره أو حقد ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[4].

د ـ المحافظة على الكليات الخمس:

وعلى الحكومة الإسلامية المحافظة على الكليات الخمس وهي (النفس، الدين، العرض، المال، العقل) ففي النفس القصاص ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[5] ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[6].

وفي العرض ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾[7] ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾[8].

وفي المال ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾[9].

وحرم ما يزيل العقل ولو إلى حين كشرب الخمر، وفي الدين حرم الردة عن دين الله والعياذ بالله وأوجب الله في هذا وذاك العقوبات الصارمة.

هـ ـ تنظيم العلاقات الدولية:

وعلى الحكومة الإسلامية أن تنظم علاقات هذا المجتمع الإسلامي

(١) سورة النساء: الآية ١٣٥.
(٢) سورة النحل: الآية ٩٠.
(٣) سورة النساء: الآية ٥٨.
(٤) سورة المائدة: الآية ٨.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٩.
(٦) سورة المائدة: الآية ٤٥.
(٧) سورة النور: الآية ٢.
(٨) سورة النور: الآية ٤.
(٩) سورة المائدة: الآية ٣٨.

بالمجتمعات الأخرى في حالة الحرب والسلم وما يتعلق بذلك من تشريع الجهاد وتنظيمه، والغنائم وأحكامها والمعاهدات وغيرها.

٢ ـ ومما شرعه القرآن لبناء المجتمع السمع والطاعة لولي الأمر:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[1] وعندما يتدبر المسلم هذه الآية ويكرر تلاوتها سيجد الإلحاح والحث على الطاعة لما في العصيان والتمرد من أثر سيئ ليس على الفرد بل على بناء المجتمع كله.

٣ ـ تحريم الخروج على جماعة المسلمين:

وكما حرم الخروج على ولي الأمر ما لم نر كفر بواحاً حرم الخروج على جماعة المسلمين ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ...﴾ الآية[2].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾﴾[3] وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ...﴾ الآية[5].

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٥.
(٤) سورة الروم: الآية ٣١ ـ ٣٢.
(٥) سورة التوبة: الآية ١٠٧.

وبهذا كله يتم بناء المجتمع وترابطه، واتحاده وقوته ويصبح للمسلمين قوة ولهم شأن عظيم.

بهذا المنهج التشريعي الحكيم جاء القرآن الكريم فدرسه العلماء وتدبروه، وتفكروا فيه وخرجوا بنتيجة واحدة هي أن في تشريعه إعجازاً لا يمكن للبشر أن يخترعوه.

ويمكن أن نختم الحديث عن الإعجاز التشريعي بذكر أهم مزاياه فمنها[1]:

١ ـ أن التشريع مظهر لهداية القرآن: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾[2].

٢ ـ أنه خير تشريع وأصدق حديث وأعدل حكم ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[3].

٣ ـ الشمول:

فهو في أحكامه شامل لجميع جوانب الحياة العقيدية والتعبدية، والاقتصادية والسياسية، والاجتماعية وغير ذلك.

٤ ـ وجوب العمل به:

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[5].

---

(١) نقلتها بتصرف من كتاب البيان في إعجاز القرآن: د. صلاح الخالدي، ص٣٢٣ ـ ٣٢٥.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٩.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٣٨.
(٤) سورة النساء: الآية ٦٥.
(٥) سورة المائدة: الآية ٤٤.

٥ ـ تحريم أخذ بعضه وترك بعضه:

كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[1] وقال سبحانه: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾[2].

٦ ـ اليسر:

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[3] وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[4] وقال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[5].

٧ ـ وجوب الإيمان بكمال التشريع وإحكامه:

لأنه من الله وهو أحكم الحاكمين ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾[6] والله أعلم.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.
(٢) سورة البقرة: الآية ٨٥.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٤) سورة الحج: الآية ٧٨.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٤٠.